مغادرته البصرة

رأى الإمام المهاجر تفرق الطالبيين في البلدان ، ورأى سوء الحالة التي يعانيها الناس ، وسير الدولة إلى الذوبان ، وشاهد الفوضى ، وعاصر الأحداث الدامية ، وتفاقم الأهواء ، فلا أمن ولا استقرار ، والخطر مستحكم الحلقات ، فأيقن أن الرحيل أمر لا مفر منه ، بذلك اكتظت شعاب نفسه .

لقد تركت فتنة الزنج آثاراً سيئة في الحياة وفي النفوس والعمران ، وتركت ثورة القرامطة وهجومهم على البصرة عام ٣١٠ ما لا يصبر عليه صابر ، اذ دخلوها والمهاجر بين أسرته ، وسكان البصرة في قلق وارتباك ، والنساء في ارتعاش وهلع ، والأطفال يصرخون جزعاً ، والجثث تتساقط في الشوارع ، والنيران تلتهب في المنازل ، وهو ينظر إلى كل ذلك فيخفف من هلع النساء ، ويمسح دموع الأطفال ، ويهدىء من روع الخدم .

في ذلك العام العصيب عام ٣١٠ هـ يبلغه نعي صديقه محمد بن جرير الطبري .

لم تعد الحالة من الاستقرار ما يستميله للبقاء ، فقرّ رأيه — بعد استشارة أفراد أسرته وأقاربه — على مغادرة العراق تاركاً بها أمواله وأبناءه ، فقد اشتدت الحالة إلى حد لا يرضى به ذو أريحية ، فوافق أقاربه على رأيه في